

التأثيرات الفنية الإسلامية في أعمال أوين جونز (Owen Jones)

د. عاطف عبد الدايم عبد الحى*

أوين جونز (Owen Jones) (١٨٠٩-١٨٧٤م) هو واحد من أشهر المصممين والمعماريين الأنجليز في القرن التاسع عشر الميلادي فعلى الرغم من مضي أكثر من قرنين من الزمان على مولده إلا أن نظرياته وآرائه العلمية في مجال الزخرفة والرسوم المسطحة لا يزال صداها باقياً حتى اليوم.

ولد أوين جون (Owen Jones) بلندن عام ١٨٠٩م ودرس العمارة في الأكاديمية الملكية بلندن وفي الفترة من عام ١٨٣٢م إلى عام ١٨٣٤م قام أوين جون (Owen Jones) بعدة جولات سياحية واستكشافية في تركيا وإيطاليا وأثينا واليونان حيث تعرف على المعماري الشاب (Jules Goury) والذي اصطحبه لزيارة مصر وقررا معاً الغوص في العمارة الإسلامية فصورا لنا بعض المشاهد الأثرية للعمارة الإسلامية بالقاهرة وذلك في عام ١٨٣٣م إلا أنها لم تنشر إلا في عام ١٨٤٣م كما زار أوين جون (Owen Jones) وزميله الشاب الفرنسي المعماري (Jules Goury) أسبانيا لمشاهدة روائع العمارة الإسلامية في غرناطة وأمضيا ستة أشهر في قصر الحمراء بغرناطة إلا أن Goury أصيب بالكوليرا عام ١٨٣٤م وتوفي بأسبانيا فعاد Owen Jones إلى لندن.

لقد استطاع أوين جون (Owen Jones) أن يضع الفن الإسلامي - بتصميماته المختلفة في مجال العمارة والفنون - في مصاف الفنون العالمية الأخرى القديمة التي كانت لها شهرة كبيرة خلال القرن التاسع عشر الميلادي ولعل ذلك جاء من خلال أستلهاهم روح الفن الإسلامي في مجال الزخرفة والتصميمات المعمارية والإستفادة منها في تصميم بعض الزخارف الحديثة المعتمدة على روح الفن الإسلامي وإدماجها في عمارة أوروبا مع المحافظة على الطابع الإسلامي.

ولعل ما ذكر سابقاً يتضح بجلاء في زخارف كنيسة جيمس ويلدس كريست في ستريثم بلندن (James Wild's Christ Church, Streatham) حيث قام أوين جونز (Owen Jones) بين عامي ١٨٤٠ - ١٨٤٢م بتصميم زخارف الكنيسة السابق ذكرها مستلهاً روح الفن الإسلامي المتميز بالفن البيزنطي.

* أستاذ مساعد بكلية الآثار - قسم الآثار الإسلامية - جامعة الفيوم - ألقى ملخص البحث ولم يقدم البحث للنشر بكتاب مؤتمر ٢٠١٠م.

وعلى الرغم من أن الأعمال التي قام بها أوين جونز (Owen Jones) في هذه الكنيسة قد طرأ عليها الكثير من التغيير إلا أن تصميماته تدل على مدى تأثره بزخارف العمارة الإسلامية في أسبانيا لاسيما قصر الحمراء في غرناطة.

كما تظهر روح الفن الإسلامي في أعمال أوين جون (Owen Jones) التي شارك بها في تصميم مبنى المعرض الكبير الذي أقيم في لندن عام ١٨٥١م.

وتبدو التأثيرات الإسلامية واضحة بجلاء في تصميم أوين جون (Owen Jones) لعقود متحف كينزينتون الجنوبي (South Kensington Museum) وهو المعروف الآن باسم متحف فيكتوريا وألبرت بلندن (Victoria & Albert museum - London) مستلهماً أشكالها من عقود قصر الحمراء بغرناطة.

إن ما قدمه أوين جونز (Owen Jones) من أعمال – ظهرت فيها التأثيرات الفنية الإسلامية – هي بلا شك أكبر دليل على مدى أهمية الفن الإسلامي فهذا المعماري فتح الباب المغلق الذي عبر الفن الإسلامي من خلاله إلى أوروبا فما كاد يمضي القرن التاسع عشر الميلادي إلا وتوافد علماء أوروبا من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وغيرها توافدوا جميعاً إلى الشرق لأستلهم حضارته المشبعة بروح الإسلام لا سيما بعد أن نشر أوين جون (Owen Jones) عام ١٨٥٦م كتابه الشهير قواعد التصميمات الزخرفية والمعروف باسم The Grammar of Ornament حيث عقد أوين جونز (Owen Jones) فصلاً كاملاً عن التصميمات الزخرفية الإسلامية.

ولم تقتصر أعمال أوين جونز (Owen Jones) على إنجلترا فقط بل شارك في مشروعات التطوير التي قام بها محمد سعيد باشا والخديوي إسماعيل لتطوير مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ومن أمثلة ذلك أن أوين جونز (Owen Jones) قام بتصميم زخارف خمسة عشر حجراً بقصر إسماعيل باشا بالجزيرة بالقاهرة.

إن عبقرية هذا المعماري الشهير لا تعتمد فقط على مجرد نشر بعض الزخارف والتصميمات المعمارية الإسلامية وتعريف الغرب بها بل تعدى ذلك بتأثيره المباشر في تلاميذه الذين ارتبطوا به وخير دليل على ذلك ما نراه في رسوم (Henry Wyndham Phillips) (١٨٢٠ – ١٨٦٨م) والذي قام برسم صورة شخصية لأوين جونز (Owen Jones) عام ١٨٥٧م وتظهر في خلفية هذه التصويرة كلمات عربية إسلامية لعل أهمها تكرار لفظ الجلالة (الله).

وأثناء تواجدى بالمملكة المتحدة بين عامي ٢٠٠٩ – ٢٠١٠م أمكنني الأضطلاع على كثير من التصميمات والرسوم التي قام بتصميمها ورسومها أوين جونز (Owen Jones)

(Jones) والتي يحتفظ بها متحف فيكتوريا وألبرت بلندن كما أمكننى الأضطلاع على ما كتب من أبحاث علمية ومقالات بل اضطلعت على ما كتبه أوين جونز (Owen Jones) نفسه عن الفن الإسلامى بل قمت بجولات لبعض المواقع التى ارتبطت بهذا المعمارى الشهير .

بيد أن ما كتب عن هذا المعمارى والمصمم الشهير قد سجل بأقلام غربية فلم أجد خلال جولاتى بين مكتبات لندن الشهيرة وأكسفورد وكيمبرج لم أجد أية أبحاث كتبت باللغة العربية عن التأثيرات الفنية الإسلامية فى أعمال أوين جونز (Owen Jones). كما يمكننى القول – على استحياء – أن بعض الباحثين الغربيين قد تجاوز هذه التأثيرات إما عمداً أو جهلاً ومن هنا لم تبرز هذه التأثيرات بوضوح فى مجال البحوث الغربية الحديثة ومن ثم كان على أن أبدأ بدراسة ما كتب عن أوين جونز (Owen Jones) مركزاً على التأثيرات الفنية الإسلامية فى أعماله مدعماً ذلك بما عثرت عليه من تصميمات وصور ونماذج لأعماله سوف أتناولها بالتفصيل فى هذا البحث.

وبعد هذا العرض أرى أن يتناول هذا البحث العناصر التالية:

- ١ – التعريف بأوين جونز (Owen Jones).
- ٢ – أعمال أوين جونز (Owen Jones) فى مجال العمارة.
- ٣ – أعمال أوين جونز (Owen Jones) فى مجال الزخرفة.
- ٤ – كتابات أوين جونز (Owen Jones) عن الزخرفة والتصميمات الزخرفية مع التركيز على الفن الإسلامى.
- ٥ – العناصر الفنية الإسلامية فى أعمال أوين جونز (Owen Jones) مع دراسة لأصولها الفنية.
- ٦ – مدرسة أوين جون (Owen Jones) فى مجال التصميمات الزخرفية والمعمارية ودورها فى نشر الفن الإسلامى.
- ٧ – موجز عن دور أوين جونز (Owen Jones) فى توجيه الباحثين الغربيين لدراسة الفن الإسلامى.

وسائل العرض :

- ١ – جهاز كومبيوتر للعرض فى برنامج باوربوينت (PowerPoint) .
- ٢ – جهاز (Data show Projector) .